منهج أبو حيان الأندلسي في التأليف النحوي
كتاب: النكت الحسان في شرح غاية الإحسان -أنموذجا-

د. زهور شتـوح و أ. عبد القادر إيكوساني و أ. عز الدين عزيز

ملخص:

انبرى نحاة الأندلس إلى تصنيف كتب نحوية بغية التيسير والتسهيل على المتعلمين للوصول إلى القواعد النحوية، ولذلك اجتهدوا في تصنيف المؤلفات النحوية والمختصرات كالمقدمة الجزولية لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي البربري و الدرة الألفية في علم العربية لابن معط الزواوي و غاية الاحسان في علم اللسان للعلامة أبي حيان الأندلسي، وقد ضم هذا الكتاب أبواب النحو والصرف معا، وكان حديثه عن تلك الأبواب موجزا كل الإيجاز وقد لفتت هذه المقدمة أنظار النحاة المعاصرين، فألفوا كتبا بنفس الاسم وقاموا بنظم المقدمة، كما أن أبا حيان نفسه قام بشرحها في كتاب وسمه بـ: النكت الحسان في شرح غاية الإحسان وتحاول هذه المداخلة تسليط الضوء على هذا الأخير بالدراسة والتحليل لتوضيح منهج أبي حيان في التأليف النحوي.

الكلمات المفتاحية: المذهب النحوي الأندلسي/ تيسير النحو/ أبو حيان الندلسي / النكت الحسان.

مقـــدمة:

لا أحد ينكر وجود كذهب نحوي أندلسي، وقد أثبت ذلك العديد من النحويين في معرض إثباتهم لأصالة "مذهب الأندلس النحوي" محاولين التدليل على ذلك من خلال أقوال الباحثين، وكان أبو حيان الأندلسي من أكثر النحويين المقرين بوجود هذا المذهب، في معرض حديثه عن قضية الاستشهاد بالحديث: «على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين الأحكام من لسان العرب، والمستنبطين المقاييس، كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر والخليل، وسيبويه من أئمة البصريين، وكمعاذ والكسائي والفراء، وعلي بن المبارك الأحمر، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين –لم يفعلوا- وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفرقتين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد، وأهل الأندلس »١ ويذكر السيوطي في كتابه "بغية الوعاة" أن أبا حيان قد ألف كتابا عن نحاة الأندلس وسماه بـ "تحفة الندس في نحاة الأندلس" إلا أنه لم يصلنا من هذا الكتاب شيء، كما نجد ابن خلدون كذلك، من المقربين بوجود مذهب نحوي أندلسي في مقدمته المشهورة في مسرد حديثه عن علم العربية: «والتآليف في هذا الفن كثيرة، وطرق التعليم مختبفة بين البصريين والكوفيين والأندلسيين »٢، ويمكن أن نسترشد كذلك بإثبات المقري في نفحه الذي يذكر فيه كثيرا من علماء النحو الأندلسيين حين يقول: «وأما كتب النحو فلأهل الأندلس من الشروح على الجمل ما يطول ذكره، فمنها: شرح ابن خروف، ومنها شرح الرندي، ومنها شرح شيخنا أبي الحسن بن عصفور الأشبيلي، وإليه انتهى علم النحو، وعليه الإحالة الآن من المشرق إلى المغرب »٣

ويقول كذلك مشيدا بنحاة الأندلس: «وهل لكم في النحو مثل أبي محمد بن السيد وتصانيفه، ومثل ابن الطراوة، ومثل أبي علي الشلوبين، الذي بين أظهرنا الآن وقد سار في المشارق والمغارب ذكره »٤.

كما نجد كذلك العديد من الباحثين المحدثين الذين أقروا بوجود المذهب النحوي أو المدرسة الأندلسية إن صح التعبير: كأحمد أمين في كتابه "تاريخ الاسلام"، وكذلك حسن الزيات، وكذلك الدكتور أمين السيد في كتابه الاتجاهات النحوية في الأندلس، وكذلك مهدي المخزومي في كتابه "مدرسة الكوفة"، والشيخ الطنطاوي في "نشأة النحو" و د، أحمد مختار عمر في "البحث اللغوي عند العرب"، وأميرة توفيق في "نظرية ابن مضاء في تيسير النحو العربي" وغيرهم كثير٥. وقد اختلف الباحثون في تحديد بداية ظهور المذهب الأندلسي في النحو العربي إذ ذهب فريق منهم إلى

القول بأن ظهوره كان في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وهذا محمد الطنطاوي في كتابه نشأة النحو يقول: « بذلك استحدثوا مذهبا رابعا عرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين، ظهرت مبادؤه من أوائل القرن الخامس الهجري الذي يعد -بحق- فجر النهضة النحوية في هذه البلاد»٦. كما نجد فريقا آخر يذهب غير هذا المذهب بقوله أن النحو الأندلسي بلغ أوجه في القرن السابع الهجري، وهذا ما يقول به لطفي عبد البديع: «وفي القرن السابع والثامن للهجرة انتهت إليهم علوم العربية»٧،وهناك من يرجع ظهوره إلى أقدم مؤلف نحوي وهو "الواضح في علم العربية" لأبي بكر الزبيدي «ولكنه نما وازدهر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، واكتملت شخصيته وظهرت سماته في القرن السابع الهجري، من هنا كان القرن السابع يمثل الفترة القوية للمذهب الأندلسي في النحو »٨.

أولا - اتجاه المدرسة الأندلسية إلى تيسير النحو (الدوافع والأسباب):

يمكننا الوقوف على أسباب عدة جعلت علماء الأندلس يذهبون إلى تيسير النحو العربي، ويعملون على تخليصه من الشوائب التي علقت به وكان هدفهم من ذلك وقوف الطلاب على هذا العلم ميسرا لفهمه بسهولة، وكان من أهم العوامل التي دفعته إلى تيسير النحو مايلي٩:

١-اختلاف الأجناس البشرية وصراع اللغات في الأندلس:

استقر الفاتحون في بلاد الأندلس الذين جاؤوا حاملين لغتهم ذات الصبغة اليمنية، كما نجد كذلك البربر المشكلين لجيش طارق بن زياد فاتح الأندلس، الذين تضاعف عددهم، كما كان هناك كذلك عجم الأندلس أو السكان الأصليين بلغتهم الخاصة وعنهم يقول حسين مؤنس «إن اللغة التي كان يتكلمها أهل ايبريا قبل القرن الحادي عشر الميلادي لا يمكن تعرفها إلا على وجه التقريب، نظرا لعلة الأصول التي يعتمد عليها، وكل ما يمكن قوله، أنها كانت تضم ألفاظا محكية من لغة القوط، أما بقيتها فكانت لهجات مختلفة من اللاتينية العامية»١٠، وبهذا وجب على الأندلس أنهم من الواجب تقديم اللغة العربية بصورة مبسطة تجانب التعقيد لتيسير تعلمها وحفظ قواعدها.

٢- البعد الجغرافي بين الأندلس والمشرق العربي مهد النحو:

كان للعامل الجغرافي كبير الأثر في انبراء علماء الأندلس لتيسير تعلم النحو حيث «أوجد البعد الجغرافي عن مصدر اللغة والنحو عند الأندلسيين ضعفا في فهم قواعد العربية التي وضعها العلماء وساهموا في تعقيدها والقياس فيها، لذلك لم يكن أمام نحاة الأندلس إلا اللجوء إلى تبسيط تلك المصنفات النحوية المشرقية »١١ ليسهل فهمها واستيعابها لدى طلاب الأندلس من العرب والمسلمين.

٣- رغبة العديد من علماء الأندلس إلى تبسيط النحو:

حيث دعى عدد قليل من العلماء في بلاد الأندلس إلى تبسيط النحو وتيسيره على المتعلمين، وذلك بعد أن فسد النحو بالتعليلات والشروح ولعل من أبرزهم "ابن حزم الأندلسي" الذي حض الطلبة على تعلم النحو ودعا إلى التخلص من علل النحو، وعدم التعمق فيه، كما حدد الكتب التي عليهم دراستها بقوله: «إن أقل ما يجزى منه –أي النحو- كتاب الواضح للزبيدي، أو ما كان نحوه كالموجز لابن السراج»١٢ وهما كتابان بسيطان بعيدان عن التعقيد خاليان من العلل والأقيسة المنطقية.

كما نجد كذلك الفيلسوف "ابن رشد" الذي دعا الطلبة إلى التركيز على ما هو ضروري في معرفة النحو حيث يقول في كتابه "الضروري في صناعة النحو" الذي حدد هدف تأليفه بقوله: «أن يذكر من علم النحو ما هو كالضروري لمن أراد أن يتكلم على عادة العرب في كلامهم، ويتحرى في ذلك ما هو أقرب إلى الأمر الصناعي، وأسهل تعليما، وأشد تحصيلا للمعاني»١٣، وبهذا جاءت الغاية من تأليف هذا الكتاب هو تيسير النحو العربي على المتعلمين وإعادة ترتيبه وفق ما هو "مشترك لجميع الألسنة"

وقد توفر للأندلس عوامل كثيرة عملت على انتشاره وازدهاره وأصبح بحق كما يقول المقري: «علم النحو عندهم غي نهاية من علو الطبقة حتى انهم حتى إنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدة وهم كثير والبحث فيه وحفظ مذاهبه كمذهب الفقه وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء »١٤.

ثانيا - منهج نحاة الأندلس في التأليف النحوي:

انكب نحاة الاندلس على كتب النحو المشرقية دراسة وشرحا، ثم ما لبثوا أن استقلوا بمذهبهم النحوي، مصنفين فيه صانعين مذهبا نحويا متفردا، ومنهجا تميز بما يلي:

١- رفضهم التعليل:

من سمات منهج نحاة الأندلس نفور أعلامها من كثرة التعليل: والابتعاد عن فلسفة النحو وتعقيده واتجاههم إلى تيسيره خاصة في أواخر القرن السادس والقرنين السابع والثامن، وتزعم هذه الثورة «"ابن مضاء القرطبي" في كتابه "الرد على النحاة" الذي طالب فيه بإلغاء نظرية العامل وإلغاء العلل الثواني والثوالث وإبطال القياس وترك المسائل النظرية، واسقاط كل مالا يفيد في النطق، وكان في ذلك متأثرا بمذهب أهل الظاهر، وبموقف ابن حزم»١٥. والملاحظ على ثورة ابن مضاء في هذا العلل كانت جزئية فقط، حيث لم يرفضها كلها بل دعا إلى الإبقاء على العلل الأول لأهميتها الكبيرة لدى المتعلمين، حيث نجده يقول في كتاب "الرد على النحاة": « ومما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا: (قام زيد) لم رفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، ولم رفع الفاعل؟: فالصواب أن يقال له: كذا انطقت به العرب»١٦. وذلك لأن العلل الثواني والثوالث لا تفيدنا في شيء ولا يضرنا جهلها في شيء، كذلك ولو أجبت السائل من سؤاله (لم رفع الفاعل؟) بأن تقول له للفرق بين الفاعل والمفعول، فلم يقنعه، وقال: فلم لم تعكس القضية بنصب الفاعل ورفع المفعول؟ قلنا له، لأن الفاعل قليل والمفعولات كثيرة، فأعطي الأثقل الذي هو الرفع للفاعل، وأعطي الأخف الذي هو النصب للمفعول، ليقل في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون١٧، فلا يزيدنا ذلك علما بأن الفاعل مرفوع١٨، ثم يضيف ابن مضاء قائلا: وهذه العلل الثواني على ثلاثة أقسام: قسم مقطوع به، وقسم فيه إقناع، وقسم مقطوع بفساده، وهذه الأقسام موجودة في كتب النحويين، والفرق بين العلل الأول والعلل الثواني والثوالث، أن العلل الأول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب، والعلل الثواني هي المستغنى عنها في ذلك١٩.

٢- الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف:

خالفت المدرسة النحوية الأندلسية غيرها من المدارس النحوية وتميزت عنهم في مسألة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، واعتباره أصلا من أصول التعقيد النحوي، عكس ما كان معهودا لدى نحاة المشرق، الذين كانوا يولون القرآن الكريم وكلام العرب كبير العناية عند الاستشهاد، وقد اقتصر أهل الأندلس على الأخذ عن أهل المدينة (في ارتحالهم إليها) منذ أن كان شيخها الإمام مالك بن أنس، الذي قلدوه في مذهبه الفقهي، وبذلك كان الحديث واسع الانتشار في بلاد الأندلس٢٠.

٣- شرح الكتب المشرقية والأندلسية:

عمل نحاة الأندلس على شرح الكتب النحوية المليئة بالتعقيد والتعليل، وقد انكبوا بداية على شرح الكتب المشرقية وكان هذا النوع من الشروحات «الأشهر والأكثر تداولا بين العلماء في الأندلس، هو الذي ساعد على تطوير النحو العربي وانتشاره بهذه البلاد»٢١ وقد تناولوا بالشرح أشهر كتب النحو التي ألفت مثل كتاب سيبويه، الذي قام بشرحه كل من: الأعلم الشنتمري، أبو القاسم الصفار، أبو علي الشلوبين، الشلوبين الصغير، وابن عصفور، وابن الضائع، وأبو حيان وابن خروف وربما هناك شروحات أخرى لعلماء آخرين قد غابت عن الباحثين فلم يذكروها ٢٢كما اهتموا كذلك بكتاب "الجمل للزجاجي" الذي شرحه كل من ابن الدقاق، والأبدي وابن أبي الربيع و اللبلي، و المالقي و القيذاري والأعلم والخفاف وابن عصفور وابن الناظر٢٣، وكذا كتاب "الايضاح" لأبي علس الفارسي الذي شرحه كل من: الزهري محمد بن أحمد بن سليمان، وأبو الحجاج يوسف بن معزوز القيس، وابن هشام الخضراوي وابن الحاج و أبوبكر الخفاف وابن الضائع وابن أبي الربيع٢٤.

كما نجد إلى جانب هذا، شرح الكتب الأندلسية المعاصرة في الأندلس، وهو أقل انتشارا مقارنة بشروح الكتب المشرقية، ونجد من بين العلماء الذين اهتموا به: أبو علي الشلوبين الذي شرح الجزولية بشرحين، وشرح الشربشي للذرة الألفية.

٤- وضع المتون وتصنيف المؤلفات المختصرة:

انبرى نحاة الأندلس إلى تصنيف

كتب نحوية بغية التيسير والتسهيل على المتعلمين للوصول إلى القواعد النحوية، ولذلك اجتهدوا في تصنيف المؤلفات النحوية والمختصرات، ومن بين هذه المختصرات:

أ/المقدمة الجزولية:

وهي من تأليف أبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي البربري النحوي ر ت ٦٠٧هـ، والتي عرفت بـ"قانون النحو"٢٥، وقد ألفها ليسهل على الطلاب الإلمام بالقواعد النحوية٢٦. وقد وصفها ابن خلكان في وفياته بقوله: «فأتى فيها بالعجب العجاب وهي في غاية الايجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو»٢٧

وقد اهتم العديد من العلماء بشرحها في المشرق والمغرب والأندلس ونجد من بينهم: «الشلوبين (ت ٦٤٥ هـ)، وأبا زكريا يحي بن محط بن عبد النور الزواوي صاحب الألفية (ت ٦٢٨هـ) أحمد بن حسين الخباز الموصلي (ت ٦٣٧ هـ)، وأبا العباس تاج الدين أحمد بن محمد الشريشي صاحب كتب الأسرار والعوارف (ت ٦٤٠ هـ)، أبا عثمان سعد بن أحمد الجذامي (ت ٦٤٥ هـ) كما شرحها ابن عصفور (ت ٦٦٣ هـ) شرحا أكمله تلميذه أبو عبد الله محمد بن علي الأنصاري المعروف بالشلوبين الصغير وابن الموفق (ت ٦٦١ هـ) وشرحها كذلك الأبذي المنشني أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٨٠ هـ) شرخ الزبير، وجمال الدين بن مالك، وابن أم قاسم المرادي»٢٨

وقد كان متمكنا من علوم العربية ووصفه محمد الطنطاوي بقوله: «صاحب المقدمة المشهورة في النحو، وقد كان بارعا في علم العربية مقدما محكما بفنونها الثلاثة: النحو واللغة والأدب وكانت له دروس يحضرها فضلاء الطلبة ونبهاؤهم»٢٩

ب/ الدرة الألفية في علم العربية:

لابن معط الزواوي وقد عرفت بألفية ابن معط٣٠، وقد نالت هذه المنظومة شرف العناية والاهتمام خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، حيث تناولها نحاة كثر دراسة وشرحا٣١

وقد كانت مصد إلهام لابن مالك فيما بعد ونظم خلاصته فقد «سبق ابن مالك لهذا العمل الفذ ورغم ما يقال عن عمله فله المبادرة والسبق »٣٢.

وقد تأثر ابن مالك بألفية ابن معط كثيرا، ويتجلى ذلك في المنهج المتبع في نظم ألفيته يقول "ولد أباه " «إذا كانت ألفية ابن مالك نالت الشهرة المعهودة، فإن ذلك لا يضع من قيمه عمل ابن معط الذي أفاد منه صاحب الخلاصة، شكلا ومضمونا، فلقد جرى على منواله في عدة أبيات، وفي طريقة النظم كما اقتبس من معانيه وألفاظه الشيء الكثير » ٣٣.

ج- غاية الاحسان في علم اللسان:

للعلامة أبي حيان الأندلسي، وقد ضم هذا الكتاب أبواب النحو والصرف معا، وكان حديثه عن تلك الأبواب موجزا كل الايجاز٣٤ وقد لفتت هذه المقدمة أنظار النحاة المعاصرين، فألفوا كتبا بنفس الاسم وقاموا بنظم المقدمة، كما أن أبا حيان نفسه قام بشرحها (وهي موضوع هذه الدراسة)

وبهذا يتضح سعي نحاة الأندلس إلي تيسير الدرس النحوي العربي وتسهيل طريقة تعلمه حتى يسهل على متعلميه فهمه واستيعابه بيسر دون ضجر منه.

ثالثا - أبو حيان الأندلسي وكتابه: النكت الحسان في شرح غاية الإحسان

١- مولده ونشأته:

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي الجياني الغرناطي النفري نسبة إلى قبيلة من البربر، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه٣٥.

ولد بمطخشارش، مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤ه)٣٦، قرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث بجزيرة الأندلس وبلاد أفريقية وثغر الإسكندرية وبلاد مصر والحجاز، وحصل الإجازات من الشام والعراق وغير ذلك٣٧ «ترك بلاده متوجها إلى الشرق بسبب تعرضه لتآليف الأستاذ أبي جعفر بن الطباع، وتكذيب روايته، مما أدى إلى رفع أمره إلى السلطان فأمر بإحضاره والتنكيل به، فاختفى ثم ركب البحر ولحق بالمشرق، ولم تكن رحلته إلى مصر هي الأولى من نوعها، فقد سبقه الكثيرون طلبا للرزق العلم والجاه»٣٨.

٢- علمه:

جاع في "الوافي بالوفيات" على لسان "الصفدي" واصفا علم "أبي حيان" قوله:« لم أره قط إلا يسمع أو يشغل أو يكتب أو ينظر في كتاب، ولم أره على غير

ذلك، وكان له إقبال على أذكياء الطلبة يعظمهم وينوه بقدرهم، وكان كثير النظم من الأشعار والموشحات، وكان ثبتا فيما ينقله عارفا باللغة وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيها خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا ينكر أحد في أقطار الأرض فيهما غيره وله اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم وخصوصا المغاربة، وله التصانيف التي سارت في آفاق الأرض واشتهرت في حياته، وأقرأ الناس قديما وحديثا حتى ألحق الصغار بالكبار، وصارت تلامذته أئمة وأشياخا في حياته، وهو الذي جسر الناس على قراءة كتب ابن مالك ورغبهم فيها وشرح لهم غامضها وكان يقول عن مقدمة "ابن الحاجب" هذه نحو الفقهاء، وألزم أحدا أن لا يقرئ أحدا إلا في كتاب سيبويه أو في التسهيل لابن مالك أو في مصنفاته »٣٩.

٣- مذهبه الديني:

تجمع أغلب كتب التراجم أن "أبا حيان " كان ظاهريا ثم تمذهب على مذهب الإمام الشافعي، حيث قال عنه "الصفدي":٤٠ «وكان أولا يرى رأي الظاهرية، ثم إنه تمذهب للشافعي رضي الله عنه ومال إلى محبه علي بن أبي طالب، كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن »٤١.

٤- شيوخه:

تكلم "أبو حيان "عن شيوخه النحاة في الأندلس فيقول: « وممن أخذت عنه من النحاة أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الخشني الأبدي، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي بن الضايع، وأبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي، وأبو جعفر أحمد بن علي بن يوسف الفهري اللبلي،... وجملة الذين سمعت منهم –نحو أربعمائة شخص وخمسين– وأما الذين أجازوني فعالم كثير جدا من أهل غرناطة و مالقة وسبتة وديار أفريقيا »٤٢، والملاحظ أن هؤلاء العلماء الذين تحدث عنهم "أبو حيان " نفسه كلهم أندلسيون، وهذا دليل قوي يؤيد صحة وصفه بأنه نحوي أندلسي تعلم في الأندلس.

٥-تلاميذه:كان "أبو حيان" من كبار العلماء في عصره، وتتلمذ على يده كثير من التلاميذ الذين خلفوا أستاذهم في علوم اللغة ومنهم٤٣: ابراهيم بن عبد الله المقري النحوي(ت٧٩٤ه)، ابن أم قاسم المرادي (ت٧٤٩ه)، بهاء الدين السبكي (ت٧٥٦ه)، ناظر الجيش (ت ٧٦٩ه).

٦- مؤلفاته:

أخذ "أبو حيان" علمه عن عدد كبير من الشيوخ والعلماء، في القراءات والنحو واللغة والأدب وشتى صنوف المعارف، إضافة إلى إقباله على التعلم واستعداده لطلب العلم، وليس غريبا والرجل بهذه الصفات أن يكون له مصنفات كثيرة في علوم مختلفة، وأكثرها جاء في التفسير والنحو والبلاغة، ومنها:

١. البحر المحيط في التفسير، وهو مختصر للبحر المحيط.
٢. التذييل والتكميل في شرح التسهيل، في النحو والصرف وهو شرح لتسهيل "ابن مالك".
٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب.
٤. إعراب القرآن.
٥. إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب.
٦. التجريد لأحكام كتاب سيبويه.
٧. التذكرة في العربية، ويقع في أربع مجلدات.
٨. التقريب في مختصر المقرب لابن عصفور
٩. المبدع في التصريف.
١٠. شرح الشذا في مسألة كذا.
١١. اللمحة والشذرة كلاهما في النحو.
١٢. الارتضاء في الضاد والظاء.
١٣. عقد اللآلي في القراءات على وزن الشاطبية وقافيتها.
١٤. الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية.
١٥. نحاة الأندلس.
١٦. الأبيات الوافية في علم القافية.
١٧. منطق الخرس في لسان الفرس.
١٨. الإدراك للسان الأتراك.
١٩. زهو الملك في نحو الترك.
٢٠. الوهاج في اختصار المنهاج للنووي.
٢١. الأسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار.
٢٢. التخيل الملخص من شرح التسهيل لابن مالك وابه بدر الدين.
٢٣. غاية الإحسان في النحو والصرف.
٢٤. النكت الحسان في شرح غاية الإحسان.

٧- وفاته:

ختم الشيخ "أبو حيان الأندلسي" حياته في القاهرة، ويذكر صاحب "طبقات الشافعية الكبرى" أنه « توفي عشي يوم

السبت الثامن والعشرين من صفر سنة خمسين وأربعين وسبعمائة بمنزله بظاهر القاهرة ودفن بمقابر الصوفية »٤٤.

رابعا - نظرة في كتاب غاية الإحسان في علم اللسان:

وضح "أبو حيان" الهدف من تأليفه هذا الكتاب، وبين أنه قد سار في تأليفه على نهج البصريين يقول: « الحمد لله على ما ألهمنا من الثناء وأسبغ علينا من النعماء، والصلاة والسلام دائمين دوام الأرض والسماء، وبعد: فقد أتحفتك أيها المبتدي في النحو بمقدمة لطيفة المنزع سهلة المشرع ضمنتها من هذا العلم أكثر أصوله ومعظم فصوله، محتذيا في ذلك ما عليه العمل من مذاهب أهل البصرة أولى التحقيق في هذا الفن والنصرة، فتجلت في سماء الآداب بدرا، وتحلت من خرائد الفوائد درا وسميتها: (غاية الإحسان في علم اللسان) والله ينفعنا في هذا المقصد الأسنى ويبوؤنا المقامة والحسنى، بمنه وبمنه »٤٥.

منهج المؤلف في تأليف "غاية الإحسان":

بدأ "أبو حيان" كتابه بالكلام على معنى النحو، فعرف بأنه «علم بأحكام الكلم العربية إفرادا وتركيبا » ثم أتبع ذلك بتقسيمه الكلام إلى خبر وإنشاء وقسمه إلى قسمين٤٦:

القسم الأول: في الأحكام الإفرادية.

القسم الثاني: في الأحكام التركيبية.

قسم الأحكام التركيبية إلى:

أحكام إعرابية وأحكام غير إعرابية، وفي حديثه عن الأحكام الإعرابية تحدث عن معنى الإعراب وألقابه وعلاماته، ثم تحدث عن المعرفة والنكرة، ثم عن المرفوعات والمنصوبات والمجرورات والتوابع ثم تحدث عن الفعل

وأقسامه وعن النواصب والجوازم٤٧.

وبعد ذلك تحدث عن الأحكام غير الإعرابية وهي: البناء والإدغام والوقف والإخبار٤٨.

وفي قسم الأحكام الإفرادية تكلم عن همزة الوصل، وعن المثنى والجمع وعن النسب، وعن نون التوكيد وأحكام التصريف، وجمع التكسير وأبنيته، وأبنية المصدر، ثم عن اسم المصدر، واسم الزمان واسم المكان، والمقصور والممدود، وعن اسم الفاعل، واسم المفعول.

ثم تكلم عن الزيادة والنقص وعن البدل والعطن وعن أبنية المجرد والمزيد من الأسماء والأفعال، أعقبها بالحديث عن النقص الذي يتمثل في الإدغام والحذف، ثم تحدث عن البدل وعن الحروف التي يطرد فيها البدل والقلب وبعد ذلك كله تحدث عن حروف الهجاء٤٩.

كما عقد بابا للحروف العاملة والمهملة، فالعامل منها: ما هو جار وما هو ناصب أو جازم وما هو ناصب ورافع أو جار ورافع، أما المهمل فما عدا ذلك.

وعقد في آخر الكتاب بابا للشعر والسجع والضرورة الشعرية، فقسم الضرائر إلى زيادة وبدل وحذف وتقديم وتأخير٥٠.

وبهذا نجد أن كتاب "غاية الإحسان في علم اللسان" كتاب شمل أبواب النحو والصرف جميعها لكن بإيجاز، حيث يقع الكتاب في ثلاث وعشرين ورقة، مقدمة للمبتدئين ضمنها أصول النحو والصرف على مذهب البصريين، وقد قال في مقدمتها: « الحمد لله على إلهامنا من الثناء والصلاة والسلام دائمين دوام الأرض والسماء، وبعد فقد أتحفتك أيها المبتدئ في النحو بمقدمة لطيفة المنزع سهلة المشرع ضمنتها من هذا العلم أكثر أصوله، ومعظم فصوله محتذيا في ذلك ما عليه العمل من مذاهب أهل البصرة »٥١.

خامسا - مصنف النكت الحسان في شرح غاية الإحسان:

يعد هذا الكتاب شرحا لكتاب " غاية الإحسان في علم اللسان" وقد أعجب "أبو حيان" به فسارع لشرحه والتطويل فيه « لا على مذهب البصريين فحسب، وإنما ذكر آراء الكوفيين والبغداديين وأهل الأندلس ومصر، واعتمد كثيرا على آراء الأندلسيين وبخاصة أساتذته وكأنه يريد أن يرد دينا عليه من باب الوفاء والاخلاص للذين غرسوا في نفسه حب العلم أول مرة، ومع التفصيل الكثير في هذا المصنف فهو يعده مختصرا أيضا»٥٢.

وقد بين هدفه من هذا الشرح حينما قال في مقدمته: « هذه نكت أمليتها على مقدمتي المسماة " بغاية الإحسان في علم اللسان" فتحت فيها مقفلها وأوضحت مشكلها، وأكثرها إنما هو إبداء حكم في صورة المثال، وربما ألمت بزيادة حكم أو ذكر خلاف أو استدلال، ولم أقصد إرخاء العنان في هذا المضمار بل آثرت الايجاز على الإكثار وقد سميتها " النكت الحسان في شرح غاية الإحسان "»٥٣.

فصل "أبو حيان" في نكته الموضوعات التي شرحها تفصيلا وافيا بغير تطويل

ممل، ثم ناقش الآراء ورد غير المعقول منها، وأيد ما يتفق مع القياس والذي لا ينفر منه دارسو اللغة العربية، كما اعترض على بعض التعريفات الناقصة التي لا تفي بالغرض وأشار إلى تقديم الأحكام الإفرادية للكلمة على بحث الأحكام التركيبية، وعلل ذلك بأنه راجع إلى صعوبته واعتياصه.

مصادر "أبو حيان" في نكته:

شرح أبو حيان وفصل في كتاب " النكت الحسان" الكثير من المسائل بغير إطناب، كما نجده يشير إلى آراء النحاة البصريين والكوفيين وأهل الأندلس ومصر والشام « وذكر أهل اللغة والنحو والأدب أمثال: أبي زيد الأنصاري، والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر، وأبي الخطاب الأخفش والخليل وسيبويه وقطرب وأبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني من أهل البصرة ثم الكسائي والسيباني والفراء وابن الأنباري وثعلب وهشام من أهل الكوفة، والمبرد والزجاج وابن السراج والزجاجي،وابن كيسان والنحاس والفارسي وابن جني والزمخشري من أهل بغداد، أما أصحابه الأندلسيون فكان لهم النصيب الأوفر في هذا الكتاب »٥٤.

ويبدو واضحا في كتاب " النكت" أن المصنف بصري المذهب متعصب له، حتى أنه في مواطن كثيرة يقول:" وهذا مخالف لمذهبنا" على أنه لا يبخس المذاهب الأخرى حقها، ولا فرق عنده في النقل عن الكوفيين وأهل بغداد أو البصريين، مادام يخدم اللغة ويحافظ على تراثها من الزوال ولكنه « لم يكن ناقلا فقط، بل هو ناقل وناقد في الوقت نفسه، فإذا ما تعرض لمسألة من مسائل النحو والصرف وأن شيخا من شيوخه قد غالى بها فلا يسكت عن قول كلمة الحق، أنه يقول: " وهذا ليس بشيء" مهما كانت منزلة العالم لديه ومهما كان عليه من العلم والاطلاع فهو صاحب أصالة في الآراء ومقدرة فائقة على عرضها مع ميل إلى الإيجاز أحيانا »٥٥.

أمثلة من ذلك:

اختياره لمذهب سيبويه كون "لن" بسيطة لا ركبة كما يرى "الخليل" يقول « وقوله: "لن" لنفي سيفعل نحو: لن أخرج، كأنه جواب لمن قال: ستخرج، والمختار أن "لن" بسيطة لا مركبة من "لا أن" خلافا للخليل...»٥٦

ويرى "سيبويه" أنه « لو كانت "لن" مركبة على ما يقول الخليل لما قلت: أما زيدا فلن أضرب لأن هذا اسم والفعل صلة، فكأنه قال: لأما زيدا فلا الضرب له...»٥٧.

وقد يورد أحيانا رأي "الخليل" دون أن يعترض عليه أو يؤيده، حيث قال في قوله تعالى ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ «تقديره: هو أشد، فـ"أي" مبنية عند "سيبويه" لخروجها عن النظير، وقد ذهب الخليل ويونس إلى أنها لا تبنى إذا حذف صدر صلتها، وتأولا ما ورد من ذلك...»٥٨.

كما ذكر رأي "الأخفش" دون معارضة حين قال: « اختلف في الياء من "تقومين" فمذهب الأخفش أنها علامة للتأنيث كالتاء في "قامت" ومذهب غيره أنها ضمير...» ومذهب "الأخفش" هذا مخالف لما جاء به النحاة، فهذه "الياء" تسمى بياء المخاطبة أو ياء الفاعلة، ونجد أن أبا حيان لم يرد على "الأخفش" وكأنه راض عن قوله.

وقال آخذا برأي عن الكوفيين « وأجاز الكوفيون تأكيد النكرة المحدودة، لأن في تحديدها نوعا من الاختصاص وورد السماع بذلك قال الشاعر:

ياليتني كنت صبيا مرضعا

تحملني الذلفاء حولا أكتعا

إذا بكيت قبلتني أربعا»٥٩

وقال: زعم الكوفيون أن لام التوكيد تدخل في خبر "لكن" أيضا، وهذا شاذ عندنا نحو دخولهما على خبر "أن" وخبر كان وأمسى٦٠.

ونجده في كثير من الأمثلة التي يوردها في هذا الشرح بين البصريين والكوفيين يميل فيها في أغلب الأحيان إلى جانب أهل البصرة.

ونجده تارة يؤيد معاصريه ومثال ذلك قوله: «الأفعال الخمسة ترفع بنون وتجزم وتنصب بحفها نحو: يقومان، ولم يقوما، ولن يقوما، هذا النوع جعل فيه النون علامة الجزم والنصب، ولا نعلم في هذا خلافا، إلا ماذكر لنا أبو جعفر بن عبد النور من أصحابنا أن أبا زيد السهيلي كان يذهب إلى أن هذه الأمثلة الخمسة ترفع بحركات مقدرة في آخر الفعل قبل الواو والألف والياء، وأن النون إنما تثبت لشبه هذا الفعل بالاسم »٦١ ولم يبد رأيه على هذا القول كما أنه لم يعترض على ما جاء فيه.

في حين أنه في موضع آخر يقول: «وحكى لنا شيخنا الإمام بهاء الدين أبو عبد الله بن النحاس أن إعراب جمع ذات "ذوات" إعراب "ذوات" بمعنى صواحب، فيقول: رأيت ذوات قمن، ومررت بذوات

قمن، وهذا نقل غريب...»٦٢.

وشواهد الكتاب عموما لم تخرج عن الشواهد التي احتفظت بها كتب النحو السابقة من اعتماد على القرآن الكريم والمأثور من كلام العرب الفصحاء والشعر « وربما يلاحظ على شواهده في بعض الأحيان الغرابة وعدم معرفة قائلها أو من النادر»٦٣، كما أنه استشهد بشعراء مولدين في نظر أهل النحو كالمتنبي وأبي تمام وهذه الشواهد كما يقول محقق كتاب "النكت" « لا تخلو من مادة لغوية غزيرة فيما نقله إلينا من المفردات والعبارات عن أكابر أهل اللغة والنحو»٦٤، لتبقى بذلك هذه الشواهد ثروة لغوية مصونة محفوظة مادامت العربية باقية.

الحواشي:

١- أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل، ج٥، دار الكتب المصرية [د،ت]، ص: ١٦٨.

٢- ابن خلدون، المقدمة، طبعة المكتبة التجارية [د،ت]، ص: ٢٩٤.

٣- المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج٧، طبعة ١٩٤٩م، ص: ١٨٠.

٤- المرجع نفسه، ص: ١٨٢.

٥- بتصرف عن: عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٣م، ص: ٤٨-٤٩.

٦- محمد الطنطاوي، نشأة النحو، طبعة القاهرة، ١٩٦٩م، ص: ١٩٨.

٧- لطفي عبد البديع، الاسلام في إسبانيا، طبعة القاهرة، ١٩٦٩م،ص: ٧٤.

٨- عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، ص: ٥٦-٥٧.

٩- بتصرف عن: فادي صقر أحمد عصيدة، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٦، ص: ٢٣-٢٤.

١٠- حسين مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي إلى قيام الدولة، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص: ٤١٧.

١١- فادي صقر أحمد عصيدة، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، ص: ٢٤.

١٢- ابن حزم، مراتب العلوم، ص: ٦٤.

١٣- ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ت: منصور علي عبد السميع، ط١، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢م، ص: ٠٤.

١٤- المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج١،ص: ٢٢١.

١٥- ينظر: مقدمة ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٣، [د،ت]، ص: ٨-٩.

١٦- المرجع نفسه، ص: ١٣٠.

١٧- ابن جني، الخصائص، تح: الشربيني شريدة،ج١، دار الحديث، القاهرة،(د،ط)،٢٠٠٧،ص: ٩٥.

١٨- ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ص: ١٣٠-١٣١.

١٩- المرجع نفسه، ص: ١٣١.

٢٠- ينظر: عبد القادر رحيم الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص: ١٧٧.

٢١- سميرة جداين، خصائص المدرسة النحوية الأندلسية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ع: ٢٢، السداسي الأول، ٢٠١٢،ص: ٣١-٣٢.

٢٢- فادي صقر أحمد عصيدة، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، ص: ٨٢-٨٣

٢٣- المرجع نفسه، ص: ٢٢٧-٢٢٨

٢٤- ينظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين، تحقيق محمد أبو الفض ابراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا،ج١ /ج٢/ج٩/ج١٢.

٢٥- ينظر: الفيروز آبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة،ص: ١٣٦.

٢٦- سميرة جداين، خصائص المدرسة النحوية الأندلسية،ص: ٣١.

٢٧- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج٣، د،ط، بيروت، ١٩٧٠، دار الثقافة، ص: ٤٨٨-٤٩٠.

٢٨- محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، د،ط، ١٩٩٦، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم، ص: ٢٦٧.

٢٩- محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة،ط٥ ،مصر، ١٩٧٣، دار المعارف، ص: ٢٦.

٣٠- عبد القادر رحيم الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي،ص: ٢١٦.

٣١- المرجع نفسه، ص: ٢١٣.

٣٢- صالح بلعيد، ألفية ابن مالك في الميزان، د،ط، الجزائر، ١٩٩٥، ديوان المطبوعات الجامعية، ص: ١٥.

٣٣- محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص: ٢٩١.

٣٤- عبد القادر رحيم الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص: ٢١٧.

٣٥- ينظر، السيوطي، بغية الوعاة،ج١، ص: ٢٨٠

٣٦- المرجع نفسه، ج١،ص: ٢٨٠.

٣٧- صلاح الدين بن شاكر، فوات الوفيات،ج٤، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ص: ٧٢.

٣٨- أبو حيان الأنلسي، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة،ط١، ١٩٨٥م، بيروت، ص: ٠٥.

٣٩- الوافي بالوفيات، ج٥،ص: ١٧٥.

٤٠- المرجع السابق، ج٥،ص: ١٧٦.

٤١-السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص: ٢٨٢

٤٢-ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، دار الكتب (١١١٣ تأريخ)، ص: ٣٢٣.

٤٣-مهند عوني خضر عواد، آراء أبي حيان الأندلسي النحوية والصرفية في كتاب همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي، دراسة وصفية، رسالة ماجستير، جامعة غزة، ٢٠١٦،ص: ٤.

٤٤-تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ج٩، هجر للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢، ١٤١٣ه، ص: ٢٧٩.

٤٥-أبو حيان الأندلسي، غاية الإحسان في علم اللسان، دار الكتب [د،ت] ،ص: ٠١.

٤٦- عبد القادر رحيم الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، ص: ٢١٦.

٤٧-المرجع السابق، ص: ٢١٦

٤٨-المرجع نفسه، ص: ٢١٦.

٤٩-المرجع نفسه،ص: ٢١٧

٥٠-المرجع نفسه، ص: ٢١٧

٥١- أبو حيان الأندلسي، غاية الإحسان في علم اللسان، ص: ١٤١.

٥٢- أبو حيان الأندلسي، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، تح: عبد الحسين الفتلي،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤٠٥،١ه-١٩٨٥م، ص: ٩

٥٣- المرجع نفسه، ص: ٣١.

٥٤- المرجع نفسه، ص: ١٠

٥٥- أبو حيان الأندلسي، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، ص: ١٦

٥٦-المرجع نفسه، ص: ١٤٣

٥٧-سيبويه، الكتاب، ج١/ص: ٤٠٧

٥٨- أبو حيان الأندلسي، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، ص: ١٥٩

- أبو حيان الأندلسي، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان،ص: ١٢٣٥٩

-المرجع نفسه، ص: ٦٠, ٨٤

٦١- المرجع نفسه، ص: ٣٩

٦٢- المرجع نفسه،ص: ٤٧.

٦٣- المرجع نفسه،ص: ٢٧

٦٤- المرجع نفسه،ص: ٢٧

مراجع البحث:

-تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ج٩، هجر للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢، ١٤١٣ه.

-ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، دار الكتب (١١١٣ تأريخ).

- ابن جني، الخصائص، تح: الشربيني شريدة،ج١، دار الحديث، القاهرة،(د،ط) ،٢٠٠٧.

- حسين مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي إلى قيام الدولة، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.

-أبو حيان الأندلسي، غاية الإحسان في علم اللسان، دار الكتب [د،ت].

- أبو حيان الأندلسي، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤٠٥،١ه-١٩٨٥م.

- أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل، ج٥، دار الكتب المصرية [د،ت].

- ابن خلدون، المقدمة، طبعة المكتبة التجارية [د،ت].

- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج٣، د،ط، بيروت، ١٩٧٠، دار الثقافة

- ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ت: منصور علي عبد السميع، ط١، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢م.

- سميرة جداين، خصائص المدرسة النحوية الأندلسية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ع: ٢٢، السداسي الأول، ٢٠١٢

- السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين، تحقيق محمد أبو الفض ابراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا

- صالح بلعيد، ألفية ابن مالك في الميزان، د،ط، الجزائر، ١٩٩٥، ديوان المطبوعات الجامعية.

- صلاح الدين بن شاكر، فوات الوفيات،ج٤، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١.

- عبد القادر الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٣م.

- فادي صقر أحمد عصيدة، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٦.

- لطفي عبد البديع، الاسلام في إسبانيا، طبعة القاهرة، ١٩٦٩م.

- محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة،ط٥،مصر، ١٩٧٣، دار المعارف.

- محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، د،ط، ١٩٩٦، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

- المقري، نفح الطيب في عصن الأندلس الرطيب، ج٧، طبعة ١٩٤٩م.

- ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٣، [د،ت].

-مهند عوني خضر عواد، آراء أبي حيان الأندلسي النحوية والصرفية في كتاب همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي، دراسة وصفية، رسالة ماجستير، جامعة غزة، ٢٠١٦.